الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

التحيز في خطاب الإعلام العراقي المعاصر

عبدالكريم يحيى الزيباري

بدون وسائل إعلام حيادية وموضوعية، لن يكون بمقدور الناس أنْ يُكَوِّنُوا لأنفسهم صورة واضحة عن مُجريات الأمور، وبالتالي سوف لن يختاروا الشخص المناسب لمقاومة التيار الذي يفضي إلى الدمار، القويُّ الأمين، الذي لا تأخذهُ في سبيل تحقيق مصلحة الشعب، لومة لائم، ولا ينحازُ إلى طائفة دون أخرى، أو قومية دون أخرى، يقول لينين في تعريفه للتحيُّز(هو موقف سلبي معاد تجاه جماعة، أو تجاه أعضائها، وهو يتميَّز بالمواقف النمطية، الناشئة عن العمليات التي تدور في ذهن من يتبنَّاها، أكثر مما تنشأ عن الاختبار الواقعي لصفات الجماعة المعنية) روزا اسماعيلوفا- المشكلات العرقية- دار الثقافة الجديدة- ١٩٨٣- القاهرة- ص١١١. عن مجموعة أعمال لينين- المجلد ٣٣- ص٣٨٦- حوار مع مايكل فاريمان: مراسل صحيفة الأوبزرفر. وفي تعريف آخر للتحيُّز وردَ في مرجع لعلم النفس الاجتماعي(التحيُّز هو موقف عدائي تجاه موضوع، وهو يميل لأنْ يكون نَمَطِيًّا بدرجة كبيرة ومشحونًا عاطفيًا، ولا يُسهل تغييره بالمعلومات المُضادة/ عين المصدر السابق والصفحة). وبعد التعريفين لا أظنُّ أنَّ أحداً بمقدوره الحديث عن إعلام عراقي خالٍ من التحيُّز، لكن كيف نواجهُ طَرْحاً يُوصَفُ بأنَّهُ غيرُ موضوعيٍّ إذا كان لا يُسهل تغييرهُ بالمعلومات المضادة؟ بالتأكيد لن يسهل تغيير أيِّ موقف نمطي، تَرَسَّخَ في اللاوعي الجمعي، والعقل السائد، وترك آثاراً واضحة على الذاكرة الجمعية وأنماط السلوك الشعبي لدى مجموعة معيَّنة، لا تجد لها وجوداً إلا في تأكيد انعدام ثقتها بالآخرين، نتيجة الدروس القاسية التي حفرتها عميقاً أحداث التاريخ السوداء. والخُصماء السياسيون في وسائل إعلامهم: يستعيرون مصطلحات وتسميات ومقولات الخصم، لتعيد تأويلها وتوظيفها في خطاب مُضاد، في الزاوية الأسبوعية للصحُافي مصطفى صالح كريم تحت عنوان(اليوم الثالث) في جريدة الاتحاد ليوم ٢٠٠٥/٢/١٦. كتبَ يردُّ على مقالٍ نشرته جريدة الصباح يتَّهم الكرد بأنَّهم(يسعوْن إلى كسب المزيد من المناصب والامتيازات، ويستعدون للانفصال)وجاء في ردِّ كريم(أسطوانة مشروخة، كان على جريدة الصباح ألا تكرِّر إعادتها لأنَّ القادة الكرد أعلنوا مراراً أنَّهم متمسِّكون بعراقيتهم، وأنَّهم لم يفكروا بالانفصال مؤكدين على بناء عراق ديمقراطي تعددي فيدرالي/ ص١٥). هناك خطاب إعلامي يُركِّز في جوهره على استخدام التَحريض والافتراء كي يكسب ودَّ شريحة من المجتمع، أو ليفوز بمقعد برلماني أو يحتفظ بكرسيِّه، وهو لا يعلمُ بأنَّ في خطابه تكمن بذرة الفتنة التي تبثُّ روح الفرقة والشقاق بين أبناء الشعب الواحد.

يصفُ كريم هذه الاتهامات بالأسطوانة المشروخة، ولكن لماذا وبعد نصف عقد من الزمان لا زالَ البعض يعزفُ هذه الأسطوانةَ المشروخة؟ ولماذا تلقى أسطوانةٌ مشروخة آذاناً صاغية من البعض؟

وغالباً ما يجري تبادل الاتهامات، وكل ذلك بسبب غياب الموضوعية، والحيادية والنزاهة، وفي الغرب تعتبر أساساً للعمل الصحُافي المهني، التي تؤكِّدُ على الابتعاد عن الآراء المزاجية والانفعالية البعيدة عن المنطق، للتلاعب بمشاعر العوام وتأليبهم، وكسب تأييدهم في قضايا معيَّنة، هل هناك دواع حقيقية تؤيِّد استمرار هذه الأسطوانة المشروخة؟ وإذا لم يكن هناك دواع حقيقية، فما هي أسباب استمرار هذه الأسطوانة بالدوران رغمَ أنَّها مشروخة؟ الطالباني والبارزاني لم يتركا فرصةً لم يكرِّرا حرصهما على عرق واحد وموَّحد، فمن أينَ يستمدُّ أعضاء جمعية الأسطوانة المشروخة مشروعيتهم؟ يقول كريم(وإشارته إلى تولي الكرد مناصب متعدِّدَة وحقائب دبلوماسية في حكومة الدكتور علاوي ... لا يعرف بأنَّ الكرد قدموا أنهاراً من الدماء لنيل حقوقهم المشروعة) ولكن جميع الفئات والطوائف قدمت أنهاراً من الدماء، وطرحُ كاتب المقال الذي لم يفصح كريم عن اسمه، يجلبُ أدلَّةً تفنِّدُ ما يريد إثباتهُ، فمشاركة الكرد في الحكومات العراقية المتعاقبة، لا يؤيد دعوى الانفصال، فمن يريد الانفصال يقاطع العملية السياسية، ويرفض المناصب، وينزوي في ركنه الهادئ الأمين، القريب من المصايف والهواء العليل، ويناى بنفسه عن مخاطر وأهوال السيارات المفخَّخة، والمكائد والاغتيالات السياسية، حتى أنَّ أحدهم زرعَ عبوةً ناسفة تحت مقعد زميله في البرلمان العراقي، والتهديد بالقتل والتفخيخ مستمر بين أعضاء الحكومة الواحدة، وهذا الصراع السياسي ينعكس في التحيُّز الواضح لوسائل الإعلام التي تعتقد وهي تمارس تحيُّزها الواضح، أنَّها تمارس حرية التعبير، كحق دستوري، وهذه الحرية والتصريحات النارية لبعض المسئولين، تجعل الجمهور يشعرُ بالحيرة والإرباك، ليس إزاء الإعلام فحسب، بل بإزاء العملية السياسية برمَّتها. ويتهم البعض وسائل الإعلام، وخاصة قناة الجزيرة، بأنَّها مصدر لبثِّ روح الفرقة والنزاعات. تتساءل ديان مكدونيل(هل كل شيءٍ خطاب؟ وبالمقابل يُمكن أنْ نطرحَ سؤالنا: هل كلُّ خطاب أيديولوجيا؟ وقد تُسْعِفنا إجابة ألتوسير المباشرة: لا مفرَّ من الأيديولوجيا.. ومن ثمَّ يُمكن طرح السؤال المُفترَض: هل هيَ سلطة الخطاب أم سلطة الأيديولوجيا؟ أو بمعنى آخر: مَنْ يملك السلطة)باري هندس- خطابات السلطة من هوبز إلى فوكو- ترجمة ميرفت ياقوت- المجلس الأعلى للثقافة- ٢٠٠٥- القاهرة- ص٨. وفي العراق هناك زواج سرِّي أو غير مباشر بين شعارات أيديولوجية عقيمة(دينية/ قومية/ طائفية) وبين مصالح شخصية ضيِّقة(سياسية/ مالية/ تجارية) والناس غَرْقَى، والغريق بكلِّ حبل يَتَعَلَّقُ، وليس لديهم خيار آخر، ولسان حاله: "أنا الغريق فما خوفي من البلل؟ المواطن العراقي سواء شارك أم لم يشارك في الانتخابات؟ قد يحدث تبادل أدوار، كما في الانتخابات الأمريكية، ولكنَّهُ تغييرٌ على السطح فقط، ربما كانت النتائج محسومة، وسوف تتكرر الوجوه عينها، والتي تنتمي إلى الأيديولوجيات المتناقضة عينها، وستبقى ذات الخلافات، ويستمر مسلسل تبادل الاتهامات، وستشغلهم بالتأكيد عن صبغ البنايات التي بُنِيَتْ في العهد البائد، ويظلُّ الشعب بانتظار دايسكي الأرضي أو دوق فليت لينقذ الأرض من الغزو الفضائي الخارجي الذي يهدِّدُ تَقَدُّم العملية السياسية في العراق.

من يخرّب علاقات إيران مع الآخرين ؟؟

سلام العبودي

في بداية عقد ١٩٧٠، نشرت جريدة (لوموند دبلوماتيك) الشهرية الفرنسية، وهي جريدة لها صيت تمتاز بدقة وصدق وغزارة معلومات مادة محتوياتها، نشرت تقريراً حول ثوار ظفار في جنوب الجزيرة العربية المحتل آنذاك من قبل بريطانيا، وهذا الموضوع قمت بترجمته في حينه. يذكر الصحفي في تقريره اسم الخليج العربي وليس "الخليج الفارسي". الملحق الصحفي في السفارة الإيرانية لدى باريس اطلع على التقرير، فكتب رسالة إلى إدارة الجريدة يحتج فيها على تسمية الخليج العربي باسمه الصحيح ويصر على وجوب التصويب إلى "الخليج الفارسي". ولكون الجريدة شهرية، فقد أحالت رئاسة تحرير الجريدة الرسالة على الفور إلى معد التقرير الذي قام بدوره بإعداد رد وافٍ ضمنه قائمة بأسماء موسوعات وكتب جغرو سياسية موثوقة تؤكد بصورة قاطعة على أن الخليج هو خليج عربي وليس فارسياً. وقد تضمن العدد اللاحق من (لوموند دبلوماتيك)، وفي نفس الصفحة، نص رسالة الملحق الصحفي الإيراني وإلى جوارها الرد عليها الذي أعده الصحفي كاتب التقرير. كان هذا زمن الشاه المقبور علي رضا خان وطموحاته غير المشروعة في التفريس متجاهلاً أن الخليج في وثائق الخارجية البريطانية يسمى خليج البصرة كما إن الأتراك حتى الوقت الحاضر يسمونه خليج البصرةBasra Körfezi وكانت التسمية ذاتها في كتبنا الدراسية. وهو خليج عربي لأنه محاط بأراضي دول عربية مطلة عليه: السعودية، العراق، الإمارات، الكويت، عمان، قطر، البحرين، وعربستان التي هي وكوردستان إيران وأقاليم أخرى تشكل دولة إيران الحالية؛ ومعلوم أن عربستان المسماة فارسياً "خوزستان" قد ضمت في عهد علي رضا شاه بهلوي إلى بلاد فارس عام ١٩٢٥ إثر مؤامرة دبرتها بريطانيا وعلي رضا شاه بهلوي لغرض اعتقال شيخ العراقين الشيخ خزعل الكعبي وسجنه حتى وفاته وضم إمارة الحكم الذاتي في المحمرة لسلطة طهران.

في العام الماضي، استضافت طهران دورة ألعاب التضامن الإسلامي الرياضية الثانية في تشرين الأول. وفي مرحلة الإعداد لهذه الدورة الدولية، أعدت طهران ميداليات ومطبوعات وضعت عليها كلمة "الخليج الفارسي"؛ فاعترضت المملكة العربية السعودية وعدة دول مطلة على الخليج العربي وطالبت بتغييرها أو حذفها كما ربطت مشاركتها في الدورة بتلبية هذا المطلب؛ غير أن إيران أصرت على ما فعلت وهددت بإلغاء استضافتها الدورة رغم مبلغ أكثر من ١٠ ملايين دولار الذي أنفقته وبعدم مشاركتها في ألعاب الدورة مستقبلاً، لكون غايتها كانت أصلاً تثبيت فارسية الخليج العربي. وإصراراً على هذا الموقف الذي لا يهدف إلا إلى افتعال الأزمات، انعقد في طهران، يوم الأربعاء ٢٩ نيسان، "ملتقى الخليج الفارسي" الذي شارك فيه عدد من الشخصيات السياسية الإيرانية من شتى الأطياف. ونورد هنا بعضاً من التصريحات التي أدلى بها صناع القرار في طهران أثناء انعقاد الملتقى:

- الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي: "إن جميع الوثائق التاريخية والقانونية لهذا الموضوع تثبت وبشكل عام أن اسم الخليج الفارسي لا يمكن تغييره مطلقا، وإن تحركات بعض الدول العربية في هذا الشأن هي تحركات سياسية تأتي في إطار دعم القوى المستكبرة."

- وزير الخارجية الأسبق، علي اكبر ولايتي الذي نجح في تغيير اسم الخليج العربي إلي الفارسي في عدد من الدوريات العلمية والسياسية أثناء توليه منصبه والذي يشغل حالياً منصب مستشار قائد الثورة الإسلامية في الشؤون الدولية، قال : "إن الخليج الفارسي هو الهوية الوطنية للإيرانيين ويجب التصدي لكل من يسعى إلي تغيير اسم الخليج الفارسي ، وان مشروع تسمية الخليج الفارسي بالعربي هو مؤامرة بريطانية، حيث طرح البريطانيون من قبل هذا الأمر و زعموا بما أن السكان القاطنين على سواحله ناطقون بالعربية فيجب تسميته بالخليج العربي، في حين أن هذا التصور هو تصور فارغ ولا أساس له؛ وإن هذا الاسم سيستخدم في تطوير ونمو وازدهار إيران".

إن استخدام الاسم "الخليج الفارسي" في ازدهار إيران لا تفسير له إلا كونه سيوفر لطهران "شرعية" احتلال جزر أخرى فيه كما فعلت مع جزر الإمارات الثلاث.. واستغلال نفطها لصالح الاقتصاد الإيراني؛ ولم يكف لعاب طهران عن السيلان باتجاه البحرين التي هي إحدى جزر الخليج العربي وهي الدافع لإصرارهم على هذا الاسم. ومن حين لآخر، نسمع أو نقرأ تصريحا لواحد من أقطاب الحكم في طهران يجتر فيه كلام من سبقوه والذي مفاده أن البحرين محافظة إيرانية! وبعد أن يثير زوبعة من الاحتجاجات والاستنكار، يخرج ناطق باسم الخارجية الإيرانية لتطويقها بالتقليل من شأن ذلك التصريح واعتباره لا يمثل الموقف الرسمي الإيراني!! ونجبر أنفسنا على التصديق لكونهم وفق المثل: "ناس تجر طول..وناس تجر عرض"، ولكن معمعة متطرفي طهران تزيدنا قناعة بأنهم يخفون تحت أبطهم أطماعاً لا حد لها.

- رئيس مجلس الشورى الإسلامي، علي لاريجاني: "إن اسم الخليج الفارسي لا يتغير ببعض المؤتمرات واللقاءات والإجراءات التي لا قيمة لها، وان على دول المنطقة أن تصون المصالح الإقليمية بدراية ويقظة. إن مشاكل الدول العربية لا يمكن حلها بمثل هذه الأعمال."

- رئيس مجلس الشورى الإسلامي السابق غلامعلي حداد عادل: "منذ سنين والدول العربية تمضي في غلطة كبيرة وبدلا من أن تتحد مع إيران الإسلامية تقدم علي أعمال تفرح فيها قلوب الأعداء. إن كل المستندات التاريخية تثبت بان الخليج الفارسي منذ البدء كان الخليج الفارسي وهذه الإقدامات ناتجة عن غلطة ونقطة ضعف. إذا كان هم الدول العربية هو الخليج الفارسي فلتعمل شيئاً لإخراج الخليج الفارسي من تحت سيطرة أميركا."

- الرئيس الأسبق للبرلمان الإيراني والمفتش العام الحالي بمكتب مرشد الثورة علي خامنئي، علي اكبر ناطق نوري: "لا يمكن أطلاقا تغيير اسم الخليج الفارسي وإن هذا الاسم ممتزج مع وجود كل مواطن إيراني، و إننا لن نتراجع مطلقا عن هذا الاسم". وناطق نوري هو صاحب التصريحات المتكررة حول "إيرانية البحرين".

غير أن مراقبين يرون أن ناطق نوري والعديد من المسؤولين الإيرانيين يمثلون فعلا شقا متشددا ذا نفوذ داخل مؤسسة الحكم الإيرانية، وأن مثل تلك التصريحات تعكس النظرة الإيرانية الحقيقية لجوارها العربي باعتباره منطقة نفوذ فارسي؛ كما يأخذون على الدول العربية عدم جديتها وغياب تنسيقها في مواجهة الادعاءات الإيرانية بشأن الخليج العربي رغم خطورتها وانجرار بعض الأوساط الغربية خلف تلك الادعاءات.

- القائد السابق للحرس الثوري والمستشار الحالي لمرشد الثورة، اللواء يحيى رحيم صفوي: "لا معنى لإيران بدون الخليج الفارسي، وإن مكة المكرمة والمدينة المنورة المركز العقائدي للعالم الإسلامي، والجمهورية الإسلامية الإيرانية المركز السياسي للعالم الإسلامي موجودتان في هذه المنطقة"! وكلام اللواء صفوي بكون الجمهورية الإسلامية الإيرانية هي مركز القرار السياسي للعالم الإسلامي يعني أن على دول العالم الإسلامي الانقياد للقرارات الصادرة عن هذا المركز الذي يرسم لها سياساتها!! أية دولة لديها أدنى قدر من الاعتزاز بسيادتها وكرامتها ترضى بهذا التـ...؟

وخلافاً للقوانين والأعراف الدولية، جرى في اليوم التالي لانعقاد الملتقى وبحضور الرئيس الإيراني احمدي نجاد في جزيرة قيس "كيش" وسط الخليج العربي، تسجيل الخليج العربي في سجل التراث التاريخي الإيراني تحت اسم "الخليج الفارسي" - باعتباره أثرا تراثيا طبيعيا و تاريخيا لإيران - في قائمه التراث الوطني الطبيعي للبلاد تحت الرقم ٦٠ !

"سوء فهم"

الخارجية الإيرانية تدعو كعادتها إلى التفاوض.. غير أن التصريحات التي يدلي بها صناع القرار الإيرانيون تتكرر فيها عبارات تصف القول بأن إيران احتلت البئر رقم ٤ العراقي هو "أمر مرفوض بقوة" أو كونه قائماً على "سوء فهم"! وهذا يعني بجلاء أن دهاقنة إيران يرفضون مقدماً وبقوة طرح موضوع عائدية البئر النفطي رقم ٤ في حقل الفكة على طاولة التفاوض كما يصف عباقرتهم طرح هذا الموضوع بكونه "سوء فهم"! ترى ما المقصود بالعبارة هذه؟ ومن هو سيء الفهم؟ نحن مقتنعون بأن سوء الفهم وسوء التصرف إنما ينبعان من أصحاب النوايا السيئة.

لقد كانت ثورة الشعب الإيراني العظيمة بكافة مكوناته القومية لإسقاط نظام الشاه الدكتاتوري الشوفيني الجائر وانتصارها عام ١٩٧٩ بشير خير لشعوب البلدان المحيطة بإيران وحتى البعيدة عنها، إلا أن الذين استلموا الحكم في إيران لم يغيروا من أطماع الشاه ومن سبقوه بالعراق وزعزعة وضعه، بل زادوها بإطلاقهم شعارات مثل "تحرير القدس يمر عبر تحرير كربلاء" وبحصول سلسلة حوادث متفرقة في بغداد وقصف واختراق لمدن حدودية يتذكرها العراقيون جيداً كانت الوقود لإشعال فتيل حرب الثماني سنوات الدامية والمدمرة بين البلدين المسلمين الجارين اللذين تربط سكانهما أواصر دينية ومذهبية وتاريخية ومصاهرة وتداخل سكاني حيث تضم إيران إقليم الأهواز (عربستان) وإقليم كوردستان إيران ضمن تشكيلة أقاليمها الأخرى؛ كما أن عائلات إيرانية الأصل كثيرة استقرت في العراق واستوطنت في مدنه خاصة في النجف الأشراف وفي كربلاء المقدسة.

تصدير الثورة

في خطبة الجمعة ٤ أيلول ٢٠٠٩ التي أذيعت على الهواء مباشرة عبر الإذاعة الحكومية، حض رجل الدين الإيراني البارز محمد أمامي كاشاني التيارات المختلفة في إيران على إنهاء النزاع الداخلي الذي أعقب الانتخابات الرئاسية مقترحا أنهم يجب أن يركزوا بدلاً من ذلك على محاولة "تصدير الثورة". وقال كاشاني في إشارة واضحة إلى الخلاف السياسي الداخلي "في مجتمعنا الإسلامي إذا أردنا إهانة كبرياء شخص في حديثنا فسيؤدي هذا إلى نار تؤذي الجميع". وأضاف "حان الوقت الآن لتصدير الثورة.. انه ليس وقت معاملة بعضنا البعض هكذا".

إن كثيراً من شعوب الأرض قد ابتليت، عبر تاريخ الإنسانية قديماً وحديثا، بقادة ركبهم جنون العظمة وحب التسلط وبسط النفوذ؛ فلو كان أدولف هتلر قد اكتفى بدولة موحدة تضم الجرمانيين في ألمانيا والنمسا فقط، لأقام دولة عظمى في تقدمها وهيبتها القائمة على مدى حسن وصدق علاقاتها مع دول أوربا والعالم، ولكن طمعه بأراضي شعوب أخرى وبخيراتها وغروره وشوفينيته ودكتاتوريته قد جعلت نهايته كنهاية كل الذين من أمثاله مخزية له بقدر ما أسالت من دماء شعبه ودماء شعوب أخرى. فالأخوة الإيرانيون الذين أسقطوا حكم الشاه كان يفترض أن يباشروا في إيران بناء وترصين دولة إسلامية نموذجية ما داموا قد أرادوا لها التشرف بحمل هذا الاسم بدلا عن الاسم القومي لبلادهم بحيث يصلح دستورها والقوانين التشريعية المستندة إليه لتشكيل نموذج تقتدي به الشعوب المسلمة الأخرى بكل مذاهبها طواعية لكونه نابع من مبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء في احترام النفس البريئة وإقرار الحقوق.. حقوق الإنسان كفرد ضمن مجموعة شعبه وحقوق كل شعب في كل ما يصبو إليه من شرائع ونظم سياسية تنظم شؤونه.. وكذا الحال بالنسبة للواجبات. لقد جاء الدين الإسلامي بأسس قويمة لتشريع القوانين الوضعية تتلائم مع كل عصر لبناء دولة اشتراكية ديمقراطية تقر كامل حقوق الإنسان. وإننا إذ نقول هذا إنما لمجرد الإشارة ولا نريد التوسع في هذا الموضوع. فما أردنا قوله أن أخوتنا في الإسلام بسعيهم لتطبيق مبدأ "تصدير الثورة" إنما يسيئون إلى ثورتهم وهم لا يشعرون. فصاحب السلعة لا يتجول بها في الطرقات ويرغم الناس بالإكراه على اقتنائها، بل يحسنها ويجعل لمعانها يجذب الآخرين نحوها؛ ومتى ما كان وهج الثورة في إيران يضاهي أو يفوق وهج الثورات التي مجدتها الأمم، فإن الشعوب هي التي ستقتدي بمبادئها ذاتياً. ولهذا فإن "تصدير الثورة" وفق أسلوب المتشددين في إيران يعتبر تدخلاً في الشأن الداخلي للدولة المعنية ويعلم المتابع للأحداث ما يجري حالياً في دولة اليمن نتيجة تصدير سلعة هي ليست مادة غذائية غير متوفرة لديها ولا تقنية أو معارف متطورة تساعد في تقدم ورفاه سكانها، بل فكر طائفي متطرف هدفه إثارة العداء وجعل المسلم يقتل أخاه المسلم ظلماً وعدواناً، خلافاً لما نصت عليه الشريعة الإسلامية وكل الشرائع السماوية؛ ولهذا نجد مبعوثيهم أينما وجدوا يثيرون الحزازات والعداء الطائفي بين المسلمين في أوربا خاصة وأرجاء العالم الأخرى، فالفكر المتطرف أياً كان لا بد أن يخلق وينمي فكراً متطرفاً مضاداً له؛ وهذا مما جعل السكان هناك يضجرون من وجود المسلمين في بلدانهم ويطالبون حكوماتهم بالتضييق عليهم وحتى بترحيلهم.

غيض من فيض

يقولون أن إيران ليست لديها نوايا سيئة.. إن واحدة من نوايا إيران تجاه العراق تجلت الصيف الماضي عندما كان العراق يعاني من انخفاض منسوب المياه لديه، حيث خططت إيران لاستثمار هذه الفرصة، فصعَّدت حربها المائية تجاه العراق بأن أقدمت على قطع المياه عن ابرز رافدين لنهر دجلة وهما نهر ديالى ونهر الكارون اللذان يمسان حياة المواطن العراقي في الجنوب بشكل أساسي حيث يعتمد أكثر من ٨٠٪ من سكان الجنوب على الزراعة والعيش على صيد الأسماك من الأهوار وقد أدت قلة المياه أو انعدامها إلى هجرة قرى كاملة بسبب الجفاف كما قامت بتحويل أو إغلاق مجاري الأنهر التي تصب في دجلة وفي شط العرب مثل نهر ديالى والكرخة والكارون متسببة بزيادة ملوحة ماء شط العرب وتلوث مياهه بما تلقيه من نفايات معامل البتروكيمياويات والصناعات النفطية والمصفاة في مدينة عبادان المطلة على مياه شط العرب مما أدى إلى كارثة بيئية كبرى. ولقد نشرت الصحف العراقية تقارير ودراسات عديدة فصَّلت الأضرار الفادحة التي أصابت سكان وسط وجنوب العراق.

أخيراً، نشير إلى تقرير نشرته جريدة (المدى)، بتاريخ ٢٨ كانون الأول ٢٠٠٩، تحت عنوان "بغداد تستفسر وطهران لا ترد! .. مشروع إنشاء مفاعلات نووية إيرانية قرب الحدود العراقية" والذي جاء فيه أن سكان المنطقة الجنوبية وخاصة البصرة والعمارة يبدون مخاوفهم من شروع إيران ببناء مفاعل نووي قرب الحدود العراقية الإيرانية وخطة إيران المعلنة هي بناء عشرة مفاعلات نووية جديدة -أربعة منها مجاورة للحدود العراقية- واستخدام شط العرب والأهوار الجنوبية لرمي النفايات النووية وخاصة بعد تحويل مصبات الأنهار إلى داخل العمق الإيراني.

نعود في الختام لنقول: إذاً.. من يخرب علاقات إيران مع الآخرين ؟؟ إن ما أوردناه أعلاه ليس سوى غيض من فيض ومقتطفات من أدلة كثيرة ظاهرة أصلاً وتؤشر بوضوح الطرف المسبب لتخريب علاقات إيران مع الآخرين. ونأمل تجاوز هذه السلبيات والتخلي عنها ونتمنى أن تكون علاقتنا مع الجارة إيران هي الأفضل والأكثر تميزا.

(ابو التمن) يعتزل من جديد

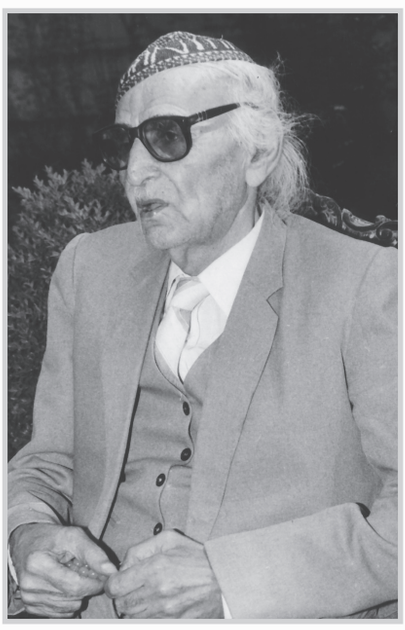

الجواهري

محمد جعفر ابو التمن

جمال جصاني

عندما رثى الجواهري، رائد الوطنية العراقية محمد جعفر ابو التمن (١٨٨١-١٩٤٥)، وصف حاجة البلاد اليه ك (حاجة الأعمى الى الأبصار). قبل رحيله كان قد اعتزل العمل السياسي بعد سلسلة من الخيبات والاحباطات التي رافقت مشوار كفاحه من اجل ان يسترد سكان الوطن القديم ملامحهم العابرة للهويات القاتلة.

وقبل سبعة عقود رحل عنا (ابو التمن) ورغم كل ذلك الاجحاف الذي واجهه، كانت عيونه ترنو الى وهج ونهوض جديد، يعيد ترميم مشروع حلمه الجميل عبر تشييد صرح (الامة-الدولة).

وباستثناء السنة الاولى من عمر الثورة (١٩٥٨-١٩٥٩) تلاحقت الاحداث محتقنة بكل مايتنافر وذلك الأمل اليتيم... بعد ان تلقف صبيان العوجة ومن تجحفل معهم حصاد نصف قرن من تضحيات احرار هذه البلاد.

لقد مرت سبعة عقود على رحيل جعفر ابو التمن، وسبع سنوات على سقوط ابشع نظام شمولي عرفته بلاد الرافدين، غير ان الحال مازال يسير على ذات المنوال والايقاعات والثوابت، التي اجبرت ابو التمن ومن على منهجه وسيرته للاعتكاف والانزواء بعيداً عن المساهمة في الشأن العام، بعد ان فقد الثقة بالكيانات السياسية ولعبة الديمقراطية المفرغة من روحها، بفعل هيمنة الصفوة المدعومة من سلطة الانتداب والقوى التقليدية النافذة.

لا بل يمكن القول بمرارة؛ اننا لم نعد نمتلك أمثال ابو التمن واصحابه من نسيج كامل الجادرجي وعبد الفتاح ابراهيم ومحمد حديد وعزيزشريف وتلك الكوكبة من الشخصيات التي قدمت كل ماتستطيع من أجل رفعة الشأن العام، بعد ان تسللت الى ساحة العمل السياسي والحزبي حزمات من (العملة السيئة) والبرامج المحمومة.

لم يتبق الكثير من الوقت امام نواب القوائم المغلقة، لتوديع مقاعدهم البرلمانية، فنحن امام جولة جديدة لانتخابات لم ينضج قانونها العتيد بعد....كما اننا سنشهد صراعاً سياسياً من دون قانون للاحزاب تحتكم اليه الكيانات والاحزاب في جدلية تنازعها..!

قد يتساءل البعض؛ كيف يعتزل من رحل عنا منذ أمد بعيد؟

يعتزل، ذلك الارث الناصع من الكفاح ونكران الذات، والذي جسد من خلال انخراطه بالشأن العام والنشاط الحزبي والسياسي والمهني، انموذجاً لجنين الوطنية العراقية الحقة، البعيدة عن كل انواع المزايدات (القاتلة) وصمد امام مختلف الضغوطات بشكل قل نظيره. تاركاً لنا مدرسة فكرية واخلاقية مترعة بكل مايمكن ان يعيننا في التصدي للتحديات الراهنة. ومن سوء حظ سكان هذا الوطن المنكوب، ان هذا الارث الناصع قد واجه اقسى حملات التنكيل والتشويه والتهميش والنسيان.

انه يعتزل...لان القوى والمؤسسات والبيارغ والتي اجبرته على الاعتكاف بعيداً، مازالت تصول وتجول، لابل ازدادت صخباً على خشبة (ديمقراطيتنا المسلفنة) ولانحتاج الى جهد كبير لرصد ممثليها الجدد المولعين باستعارة رموز الآخرين وخاصة عناوين تلك المدرسة الرائدة من قبيل (الوطنية والعراقية والنزاهة و...).

مئات الكيانات (السياسية) والقوائم المؤتلفة، المتدافعة صوب مقاعد البرلمان القادم، لكن ليس من اليسير العثور من بينها على من نلتمس فيه شيئاً من أعراض تلك المدرسة السياسية والقيمية التي اعتكفت عام ١٩٣٧ وتوهجت بشدة في الاشهرالييتيمة المحصورة في تلك السنة قبل نصف قرن (١٩٥٨-١٩٥٩) ثم انكفئت لاربعة عقود (الحقبة الممتدة بين عبورين بدأت بالقطار وانتهت بالدبابة) الى ان استيقظنا على وقع خطى الاقدار القادمة من خلف البحار...في عتمة هذه الحشود المتدافعة نفتقد جعفر ابو التمن وورثته الحقيقين، غير الملوثين بالادعاءات الجوفاء.

اتخيله الآن وهو يضرب كفاً بكف اسفاً ووجعاً على الحال الذي وصل اليه البلد الذي كان قبل اكثر من نصف قرن رائداً ومتقدماً بوعيه ومشاريع برامجه؛ الى تلك (الارض اليباب) حيث (العالم ملجم والجاهل مكرم) وزمن لم يعد فيه من امثال ساسون حسقيل (صاحب بيت المال) الذي لم يمنح الملك مبلغاً اضافياً بعد ان نفدت ميزانيته المخصصة... بل مخلوقات جديدة تنحت عن طريقها سلالات القوارض خجلاً من فضاءات شراهتها اللانهائية...

آنذاك كان بمقدور جعفر الاعتزال والرجوع الى اعماله التجارية وقيادة غرفة تجارة بغداد. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل مثل تلك الخيارات متاحة اليوم لمثل تلك السلالات المهددة بالانقراض...؟

آراء وأفكار Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
٣. لا تزيد المادة على ٧٠٠ كلمة.

ideas@almadapaper.net